ظهر حديثا

مدونة جوستينيانه فى الفقه الرومانى Institutes de Justinien نقله إلى اللغة العربية حضرة صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا (دار الكاتب المصرى)

فى مثل هذه الأيام من الصيف الماضى تحدث إلى حضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد العزيز باشا فهمى فى التليفون يسألنى ألا أستطيع أن أعيره معجما لاتينيا وكتابا فى نحو اللغة اللاتينية . قلت : وماحاجتك إلى هذا العناء فى هذا القيظ المحرق ! قال متضاحكا : إنى معنى ببعض مسائل الفقه وقد أنسيت ما حفظت من اللاتينية لبعد العهد بأيام الدرس . فان استطعت أن تعيرنى هذين الكتابين شكرت لك هذا الفضل . وقد أعرت الأستاذ هذين الكتابين دهشا باقدامه على الغوص فى معاجم هذه اللغة القديمة ونحوها على حين كنت أنا أستكره نفسى استكراها على الغوص فى معاجم اللغة العربية وأدبها لشدة القيظ من جهة ، ولأن الحياة المصرية لاتعين على بحث أو درس من جهة أخرى .

ثم انقضت أشهر الصيف ولقيت الأستاذ فى بعض جلسات المجمع اللغوى ، فعلمت منه أنه نقل إلى العربية هذا الكتاب اللاتينى من كتب الفقه الرومانى ، وأنه يريد أن يتيح الانتفاع بما فيه من علم للذين يدرسون القانون فى كليتى الحقوق والذين يدرسون الفقه الاسلامى فى الأزهر الشريف وغيره من معاهد الدين .

ولست أصور دهشتى حين تلقيت من الأستاذ هذا النبأ ، ولست أصور إعجابى بهذه القوة التى لا تعرف ضعفا ، وبهذه العزيمة التى لا تعرف كلالا ، وبهذه المصابرة التى لاتعرف سأما

لست أصور دهشتى ولا إعجابى ؛ فقد عودنى عبد العزيز فهمى ان يدفعنى إلى الدهش ويضطرنى إلى الاعجاب منذ عرفته حين كنت طالبا معمما ، وحين كان هو محاميا موفور القوة مستكمل النشاط . وما زلت أذكر إعجاب جيل الشباب به حين كان عضوا فى الجمعية التشريعية وحين انفق الليل كاملا متوفرا على درس الميزانية . وما زلت أذكر بعد ذلك انقطاعه لوضع مشروع الدستور وعكوفه على العمل أياما وليالى متصلة فى غرفته بفندق من فنادق الاسكندرية فى صيف عام من الأعوام ، لايلقى الناس إلا ساعة حين ينصرف النهار ويقبل الليل ، يتحدث إليهم ويسمع منهم لحظات ، ثم ينصرف عنهم ليمضوا هم فى أحاديثهم وفكاهاتهم وليستأنف هو عكوفه على وضع مشروع الدستور . وما زلت أذكر امتناعه على النوم ليدرس هذه القضية أو تلك حين كان رئيسا لمحكمة الاستئناف ثم لمحكمة النقض ، بل ما زلت أذكر تعمقه لقصة الأدب الجاهلى وتحقيقه لما أثير حولها من خلاف حين كانت قصة الأدب الجاهلى ، وتعمقه لقصة الاسلام وأصول الحكم وتحقيقه لكل ماجاء فى هذا الكتاب ولما أثير حوله من خلاف ، ولموقف الدستور من هذا الكتاب وما اثير حوله من خلاف .

فالصورة المستقرة فى نفسى من عبد العزيز فهمى منذ عرفته أنه رجل جد مقدام ، لايعرف تهاونا ولا ضعفا ولا فتورا ، ولا يستقبل

أمرا من الأمور الا استقصاه ولا مشكلة من المشكلات إلا قتلها بحثا ، وأبغض شئ إليه الدرس السطحى ، وأثقل شئ عليه نصف العلم . فهو يحب العلم كاملا ما وسع الانسان أن يكمله . ولست أدرى أيحب المتنبى أم يزور عنه ، ولكنى أعلم أنه يشارك المتنبى فيما يرى من أن أقبح ما فى الرجل من عيب هو أن يكتفى بالنقص حين يستطيع الكمال .

من أجل هذا كله لم أدهش حين رأيت عبد العزيز فهمى يندفع فى غير أناة ولا مهل ولا رفق بنفسه فى درس قصة الكتابة العربية : ماقيل فيها منذ أقدم العصور إلى الآن ، لا يفوته من ذلك شئ ، ثم فى محاولة الحل لهذه المشكلة وفيما اقترح من إصلاح الكتابة ، ثم فى الدفاع عن رأيه والجهاد فى سبيله والرد على خصومه يستقصى ما يدور حول هذه القضية فى جميع أقطار الشرق العربى ، فيسجله ويحلله وينقضه لا يعرف فى ذلك هوادة ولا لينا . وقد عرض المجمع اللغوى لاصلاح النحو واختار عبد العزيز فهمى مقرراً لهذا الاصلاح ، وإذا هو يغرق فى النحو العربى إلى أذنيه ، وإذا هو يستخرج من دقائقه ويكشف من أسراره ما ينوء بالعصبة أولى القوة من الذين أنفقوا حياتهم فى درس النحو واستقصاء مذاهب البصريين والكوفيين فيه ، حتى استقر فى نفوس زملائه أنه أعلمهم بالنحو وأنفذهم فى مشكلاته . كل ذلك والرجل لم يفرغ لعلوم اللغة العربية ولم يأخذ نفسه بالتخصص فيها ، وإنما ألم بها إلمامات قصارا كما يصنع الرجل المثقف الذى يحب أن يأخذ من كل شئ بطرف . ولكن عبد العزيز فهمى لا يحب أن يأخذ من كل شئ بطرف ، وانما يؤثر الاستقصاء والتعمق وما يستتبعان من جهد على هذا العلم الناقص اليسير . فكيف به حين يعرض للفقه والقانون ، وهو قد أنفق صفوة حياته فى الفقه والقانون ؟

من أجل هذا تلقيت ما أنبأنى به من ترجمته هذا الكتاب إلى اللغة العربية بما تعودت أن ألقى به أنباءه كلها من الدهش والاعجاب ، ولكنى تلقيت هذا النبأ بشئ آخر غير الدهش والاعجاب ، بهذا الشوق الشديد إلى أن أنظر فى الترجمة واقرأ نتيجة هذا الجهد العنيف .

وعبد العزيز فهمى متواضع دائما ، يرى أنه مقصر مهما يبذل من جهد ، ومهما يحتمل من مشقة ، ويرى دائما أن همته أبعد من صحته وان آماله ومثله العليا أعظم وأضخم من طاقته المحدودة . وهو من أجل ذلك راض عن نفسه وساخط عليها فى وقت واحد ، راض عن نفسه لأنه لا يحملها أو لأنها لا تحمله إلا على ما يرضى ضميره وعلى ما يقتنع بأن فيه الخير والنفع لمواطنيه ، قد يخطئ وقد يصيب ، ولكنه متوخ دائما للحق والخير والمصلحة كما يتوخى الرجل الكريم كل هذه الخصال . وساخط على نفسه لأنه يطلب إليها أو تطلب إليه فوق ما يطيق الانسان الضعيف مهما يكن حظه من القوة . فكيف إذا نيف على السبعين وقد اعتلت صحته وحملته السن اثقالها ؟

قلت إنه متواضع دائماً فلم يكد يرى دهشى وإعجابى حتى قال : هون عليك فانى لم أترجم هذا الكتاب من اللاتينية إلى العربية وإنما ترجمته من الفرنسية إلى العربية ، ثم قص على القصة التى تقرأها فى مقدمة الكتاب . ولكن الشىء المحقق الذى أشهد به مطمئنا هو أنه لم يؤمن للترجمة الفرنسية أو للتراجم الفرنسية التى اعتمد عليها إيماناً مطلقاً مطمئناً ، وإنما نقد واستقصى وراقب الترجمة واستقصى النصوص وقابل بين التراجم المختلفة ورجح بعضها على بعض ، ولولا ذلك لما استعار منى المعجم اللاتينى وكتاب النحو اللاتينى . فالذين يقرءون هذا الكتاب يجب أن يطمئنوا

إلى أنهم لا يقرءون ترجمة ثانية عن ترجمة أولى ، وإنما يقرءون كتاباً ترجم عن أصله اللاتينى ، وكانت تراجمه الفرنسية هاديا للأستاذ ودليلا ولا سيما إذا لاحظنا أن المترجمين الفرنسيين من الفقهاء الممتازين الذين يهتدى برأيهم فيما يكون من تأويلهم للنصوص وتعليق عليها .

ولهذه الترجمة العربية لكتاب لاتينى فى الفقه الرومانى خطرها العظيم من نواحى مختلفة أشد الاختلاف . فنحن نعلم أن سلفنا قد نقلوا من اليونانية إلى العربية ، ونقلوا من الفارسية والهندية إلى العربية أيضاً ، ونقلوا كذلك من السريانية إلى العربية ، ولكنا لا نعلم أنهم نقلوا فى الشرق العربى على الأقل من اللاتينية إلى العربية ، فاذا لم أكن مخطئاً فعبد العزيز فهمى هو أول من نقل من هذه اللغة إلى اللغة العربية فى بلاد المشرق . وليس هذا بالشىء القليل وأحسبه شيئاً كثيراً جداً ولا سيما حين نقرأ الكتاب ، ونرى أن بين هذا الفقه الرومانى وبين كثير من فقهنا الاسلامى تقارباً وتشابها واتحاداً أحياناً ، وأن هذا كله لا يمكن أن يكون نتيجة المصادفة وتوارد الخواطر . وهنا تنشأ المسألة لخطيرة الثانية كيف تأتى للمجتهدين من فقهائنا أن يظهروا على دقائق الفقه الرومانى إذا كان هذا الفقه لم يترجم لهم كما ترجمت لهم فلسفة اليونان وثقافة الفرس والهند ؟ وناحية خطيرة أخرى لهذه الترجمة هى أن طلاب القانون عندنا كانوا إلى الآن يدرسون ظاهراً من الفقه الرومانى يسمعونه من أساتذتهم لا يستطيعون أن يرجعوا فيه إلى أصل معتمد . ويحزننى أن أقول إن الأساتذة أنفسهم لا يرجعون فى هذا الفقه إلى أصوله الأولى ، وإنما يرجعون إلى ما كتبه الفقهاء الأوربيون أو ترجموه ، وهم يرجعون إلى ما كتبوا أكثر مما يرجعون إلى ما ترجموا . فالفقه الرومانى الذى يصل إلى طلابنا فى كلية الحقوق ، إنما يصل إليهم شاحبا ممتقع اللون قد فقد كثيرا من خصائصه التى تمنحه القوة والخصب ، لأنهم تلقوه عن اليد الثالثة أو عن اليد الرابعة لا عن اليد الثانية التى استقته من أصله اللاتينى . والمعروف أن أساتذة الفقه الرومانى عندنا لا يحسنون اللاتينية ، ولا يحفلون باتقانها ، ولا يغرون تلاميذهم بدراستها ، لا أكاد أستثنى منهم إلا واحداً ترك مهنة التعليم . فهذه الترجمة ستتيح لطلابنا أن يقرءوا الفقه الرومانى قراءة مباشرة ، وأن يستخرجوه من معدنه ويستنبطوه من ينبوعه . ولا أشك فى أن هذا سيفتح لهم أفاقاً لم تفتح لهم من قبل وسيغريهم بدراسات لم تكن تخطر لهم على بال .

وناحية أخرى لخطر هذه الترجمة ، فطلابنا الأزهريون يتعمقون دراسة الفقه الاسلامى ولكنهم يدورون منه فى غرفا منلقة لا تنفذ إلا إلى المعروف من أصول الفقه الاسلامى . وهم سيقرءون هذا الكتاب وسيعلمون أن أمما أخرى قد تعمقت الفقه كما تعمقه المسلمون ، وكان فيها مجتهدون يستعرضون المشكلات وينفذون منها ويسرون للناس ما تعرضه عليهم حياتهم اليومية من الأمور المعقدة . وكان هؤلاء المجتهدون يستقبلون هذه المشكلات كما كان المجتهدون المسلمون يستقبلونها ، وكانوا يحلونها ويتصرفون فيها على أنحاء قريبة جداً من الأنحاء التى كان المجتهدون المسلمون يعمدون إليها . فسيلقى طلابنا الأزهريون على أنفسهم أسئلة وسيجدون فى أنفسهم أجوبة لهذه الأسئلة ، وسيعلمون أن العزلة لم تقسم لشعب متحضر وأن الأجيال على اختلافها وتباينها لا تعدم وسائل لتداول الحضارة وعناصرها مهما يكن بين هذه العناصر من التباعد والاختلاف ، وسيطالب الأزهريون بمزيد من العلم وسيحرصون لا على أن يعرفوا فقه الرومان وحدهم ، بل على أن يعرفوا فقه أمم أخرى قديمة وحديثة ، وستفتح لهم آفاق

أوسع جدا وأبعد جداً من الآفاق التى فتحت لطلاب الحقوق فى الجامعتين .

وناحية أخرى تبين خطر هـذه الترجمة وهى أن المترجم لم يكتف بالنقل الدقيق الأمين، وإنما كان فقيهاً وفقيهاً بأوسع معانى هـذه الكلمة ، فقيها تعمق الفقه الاسلامى والفقه الحديث الأوروبى والشرقى ، وأراد فى كثير من المواضع أن يدل على الصلة بين الفقـه الرومانى الذى يترجمه وبين هـذه الألوان المختلفة من الفقه القديم والحديث .

فالذين سيقرءون هذا الكتاب لن يقرءوا ترجمة فحسب ولكنهم سيقرءون شروحا وتعليقات ، لعلها أن تكون أقوم من النص نفسه . وليس عبـد العزيز فهمى مؤرخا لا للفقه الرومانى ولا للنظم الرومانية . ولعلى لا أخطئ إن قلت إنه لم يقرأ من كتب التاريخ الرومانى المفصل إلا ما يقرؤه المثقفون الذين يرتفعون بأنفسهم عن الجهـل ، ولكن لعبد العزيز فهمى على هـذا حدسا غريبا مدهشا حقا . فهو قد يلقى الكلمة اللاتينية أو الفكرة الرومانية قد اختلف الفقهاء الفرنسيون فى تفسيرها وتأويلها ، وإذا هو يفسرها ويؤولها على النحو الذى انتهى إليه فى هذه الأيام أشد المؤرخين والفقهاء تعمقا لفقه الرومان وتاريخهم . وهذا كثير جداً فى الكتاب ، ولكنى أضرب له مثلا بما فسر به عبد العزيز فهمى معنى الجنس ومعنى الولاء فقد كان الفقهاء الذين استعان بهم على ترجمته يختلفون فى هذين البابين ويذهبون فيهما مذاهب لا يلائم بعضها بعضا ؛ لأن حقائق التاريخ الرومانى لم تكن فى عصرهم قد ظفرت بالجلاء الذى أتيح لها منذ أواخر القرن الماضى . لم يكونوا قد ظهروا على نظريات فوسـتل دى كولانج ومن جاء بعده فى نظام « المدينة القديمة » وفى معنى الجنس والقبيلة ، ولم يكونوا قد قرءوا الفقه الرومانى الخاص والعام كما عرضه مومسن ونظراؤه بعد أن استكشفت النقوش اللاتينية واليونانية التى لا تحصى ، وبعد أن وضعت موضع الدرس والنقد والمقارنة .

ومن المحقق أن عبد العزيز فهمى لم يقرأ من هذا كله شيئا ؛ لأنه لم يفرغ للبحث النظرى ولم يخصص نفسه فى تاريخ الفقه . ولكنى حين رأيته يفسر الجنس كما فسره ويفصل أمور الولاء كما فصلها فى تعليقاتها الكثيرة لم أشك فى أنه قد رجع إلى هذه المصادر التاريخية ورجع على الأقل إلى المعجم التاريخى العظيم *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines* de Daremberg et Saglio.

فلما سألته فى ذلك تبينت أنه لم يتكلف من هذا كله شيئا لأن صحته لم تتح له فيما يقول أن يؤدى لهذا البحث حقه . فاعجب إذن لهذا التوافق المدهش بين حدس عبد العزيز فهمى ونتائج البحث التاريخى الدقيق . أما أنا فلست أخفى عليك أنى أسفت أشد الأسف لأن هذا الرجل لم يتخصص فى درس التاريخ القديم ، ولكنى أسفت أيضا أشد الأسف ذات يوم لأن هذا الرجل لم يفرغ للتخصص فى اللغة العربية وعلومها . وعبد العزيز فهمى من الذين لا يكادون يعرضون لشئ حتى يشعروك بأنهم وقفوا حياتهم عليه وتفوقوا فيه تفوقاً رائعاً حقاً .

وناحية أخرى لخطر هذه الترجمة وهى أن الكتاب قد أصدره قيصر من قياصرة الروم فى القرن السادس للمسيح بعد أن كلف لجنة من الفقهاء البارعين إعداده وعرضه عليه وبعد أن قرأ ما أعدت هذه اللجنة ونقده وغير فيه فحذف منه وأضاف إليه ، وهو من هذه الناحية خلاصة للفقه الرومانى الذى اشتغل به أئمة الفقهاء الرومانيين أكثر من ألف عام خضعت فيها روما لنظام الملك وللنظام الجمهورى وللنظام الامبراطورى . وقد حرص

چوستنيان ، وحرص مترجموه من بعده ، وحرص المترجم المصرى على أن يبينوا فى إيجاز ما بين الأحكام التى اشتمل عليها هذا الكتاب وبين الأطوار المختلفة للتشريع الرومانى من صلة . فأصبح هذا الكتاب كتابا فى الفقه وفى تاريخ التشريع عند الرومان .

فالذين سيقرءون هذا الكتاب سيقرءون فقها وتاريخا معا . وكان چوستنيان نفسه مشرعا محبا لتتبع القوانين وإصلاح ما يحتاج منها إلى الاصلاح . وهو يصدر بهذا الاصلاح مراسيم ومنشورات أشير إلى بعضها فى الكتاب وترجم بعضها ترجمة كاملة ألحقت بالكتاب . ثم لم يكتف عبد العزيز فهمى بنشر الكتاب وملحقه هذا ، بل أضاف اليه ملحقاً آخر ترجم فيه طائفة صالحة من القواعد العامة لأصول التشريع عند الرومان .

وقد أصدر چوستنيان هذا الكتاب رفقاً بطلاب الفقه والحقوق . وترجم عبد العزيز فهمى هذا الكتاب خدمة لطلاب الفقه والحقوق . وما أظن أن عبد العزيز فهمى يقبل منى شكرا أو شيئاً يشبه الشكر على هذا الجهد ، ولكنه يقبل منى فى غير شك إقتراحاً يسيراً جداً وهو أن يضيف إلى الكتاب حين يعيد طبعه ثبتا بما فيه من الأسماء والمصطلحات ، مع ما قد تحتاج إليه هذه الأسماء والمصطلحات من شرح وتفسير . ذلك أحرى أن تتم الفائدة ويعم النفع ، ولا سيما بالقياس إلى الذين ليس لهم إلا حظ متواضع من ثقافة فى الفقه والتاريخ .

وقد أراد عبد العزيز فهمى أن ينفق ما قد يغله هذا الكتاب من ربح فى تشجيع طلاب الحقوق بجامعة فؤاد الأول . وتفضل فكلفنى القيام عنه بذلك . وهو لن يقبل من الطلاب على جهده وطيب نفسه إلا لونا واحدا من الشكر وهو قراءة هذا الكتاب فى عناية وتفهم . ولو أنى كنت مسموع الكلمة عند الأستاذ الأكبر وعند مديرى الجامعتين لألححت عليهم فى أن يكون هذا الكتاب مادة من مواد الدرس لطلاب الفقه والقانون على إختلافهم ، ومن يدرى لعلهم لا يحتاجوز منى إلى هذا الالحاح . فهم أبصر بحاجه الطلاب إلى مثل هذا اللون من ألوان العلم .

طه حسين

القاهرة الجديدة قصة للأستاذ نجيب محفوظ (لجنة النشر للجامعيين — القاهرة)

قصة ، ومن يقرأ عنوانها تثب إلى رأسه معان كثيرة ولكن لا يخطر فى باله ألبتة أن يكون ذلك عنوان قصة ، وذلك بعض فن الأستاذ نجيب محفوظ ، والأستاذ نجيب محفوظ فنان مطبوع وقاص له خصائصه الفنية . وليست قصة «القاهرة الجديدة» أولى قصصه ولن تكون آخرها ؛ إن له عينا ترى مالا تراه الأعين ، وله أذناً تسمع ونفسا وخاطراً ينفعل بكل ما يرى وما يسمع وما يحس ، فى كل مشهد تقع عليه العين العابرة يجد الأستاذ محفوظ نواة قصة زاخرة بالحياة والفن !

ولكن لماذا اختار المؤلف لقصته هذا العنوان الموهم ؟ وهل قرأت له منذ قريب « خان الخليلى » ؟

لقد كان القدماء يعالجون الجغرافيا باعتبارها أرضاً وسماء ومناخاً وغلات وسكاناً من الناس أو من الحيوان ؛ ولكن عناوين بعض قصص الأستاذ محفوظ كأنما يعنى بها أن الجغرافيا

فى رأيه ، أو فى فنه ، هى جغرافيا الناس لا جغرافيا المكان ؛ فأنت تقرأ عنوان « القاهرة الجديدة » تلتمس أن تطالع حديثا عن الجغرافيا كما يعرفها القدماء ، فاذا بين يديك حديث آخر عن الجغرافيا كما يراها هذا الجغرافى الفنان : أرض الحادثة وسماء الفكر وجو الأعصاب ؛ وإذا رياح وعواصف ولكن مما يثور فى داخل النفس لا فى ظاهرة الحياة . . .

هى قصة إذن يصف بها « القاهرة الجديدة » على أسلوبه فى فهم جغرافيا الناس فى هذا الجيل من الشبان والشابات الذين يعيشون على ظهر هذه الأرض التى تسميها الجغرافيا القديمة « القاهرة » ، فى هذا « الجو » العاصف من الآراء والنزعات الجديدة التى تلف حياة الشبان والشابات ، بل الشيوخ والشيخات أيضا فى هذه الأيام !

ولكن ما هو موضوع القصة على التحديد ؟ هذا هو السؤال الذى أوثر ألا أجيب عنه الساعة ؛ لأدع لكل قارئ فرصة يلتمس فيها الجواب بنفسه بقراءة القصة ؛ وليس عبثا ما يضيع من وقت فى قراءة قصة من قصص نجيب محفوظ !

تمنيت لو خلت هذه التحفة الفنية البديعة من بعض الهنات فى أسلوب القول وفى الاعراب والبيان ، ولكنها هنات ضئيلة لا تبخس قيمة هذه التحفة التى تستحق التنويه والاعجاب !

رحلة الربيع بقلم الأستاذ فؤاد شاكر (دار إحياء الكتب العربية — القاهرة)

الأستاذ فؤاد شاكر أديب وشاعر يحاول فى هذا الكتاب لوناً طريفاً من « أدب الرحلات » وهو يصف فيه رحلته وطائفة معه من أعيان الحجاز وأهل الرأى فيها إلى نجد ، تلبية لدعوة كريمة من حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وفى ركبه الميمون فى ربيع سنة ١٣٦٠ (شتاء ١٩٤٠ — ١٩٤١) وكانت رحلة ميمونة اقترنت بغيث هاطل فى نجد والحجاز أتى بأطيب الثمرات وحقق معنى الربيع ، ومن ثمة كانت تسمية الرحلة .

ولم يلتزم المؤلف فيما يصف من رحلته ورحلة أصحابه ما كان يلتزمه من قبل كتاب الرحلات من الاقتصار على وصف الديار والآثار والناس ، فانه لأديب وشاعر ، وإنه فى هذه الرحلة لضيف ملك كريم له مآثر مذكورة فى كل مرحلة من مراحل السفر وكل منزلة من منازل الاقامة ، ومن ذلك كان كتاب هذه الرحلة شيئاً طريفاً بين كتب الرحلات ، فيه إلى جانب المشاهدات الطريفة فى الرحلة من الآثار والديار نفحات أدبية رائقة ، وفيه شعر ونثر ، وفيه محاورات وطرائف ، وفيه تحقيقات تاريخية وأدبية ولغوية جاءت عفو الساعة لمناسبتها ، ولكن فيها تدقيقاً وبحثاً وآراء لها تقدير واعتبار ، وفيه إلى ذلك تعريف بطائفة من أعيان الجيل فى نجد والحجاز قد يكون فيه غداً مادة بحث اجتماعى وتاريخى .

وقد صدر المؤلف كتابه بمقتطفات رائعة مختارة من أحاديث وأقوال جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أيده الله ، وختمه بفصل فى الحديث عن أسرته وتاريخه وأعماله وبعض ما يؤثر عنه من خلال الخير وشمائل الأكرمين — وقدم له الأستاذ العقاد بمقدمة بليغة تحدث فيها حديثاً معجباً عن طبيعة التاريخ فى الأمة العربية .

وهو على الجملة كتاب يشتمل على فنون شتى ، ومن حق كل قارىء عربى يعنيه أن يتزود بمديد من العلم عن المملكة العربية السعودية الناهضة وعن نجد والحجاز موطن الشعر والحكمة — أن يلتمس زاده فى هذا الكتاب .

عاطفة الحب للدكتور محمد فتحى (مكتبة مصر ومطبعتها — القاهرة)

هذا كتاب شاب فى السادسة والعشرين من عمره ، وهذه الحقيقة هى أول سطر فى كتابه الذى بلغت صفحاته بضعا وثلاثين ومائتين كلها حديث عن الحب . أتراه حين يذكر تاريخ مولده فى أول سطر يكتبه ، ثم يتبعه ببضعة عشر سطرا فى الحديث من نفسه فى أول صفحة من الكتاب — يريد أن يدل بشبابه وصفاته ، ولكنه — فيما يبدو — ليس من أهل الادلال وإن يكن شابا ؛ فهل تراه يريد — فى حديث ضمنى — أن يقدم للقارىء المبررات التى حملته على بذل الجهد فى تأليف شتات هذا الكتاب ، بذكر شبابه وصفاته ، ومن حق الشباب أن يتحدث عن الحب ! أم لا هذا ولا ذاك ولكنه يريد فى أول صفحة من كتابه عن عاطفة الحب أن يعرض « صحيفة أحواله » على من يعنيه أن يعرضها عليه ولا يعنيه أن يعرضها على سواه ؟ أعنى : أكانت هذه الصحيفة التى يتحدث فيها عن نفسه مقصودة لقارىء واحد من بين مئات القراء ، أو آلاف القراء ، الذين يقدم إليهم كتابه ، فهى رسالة خاصة إلى « محبوب » فى كتاب عام يقدمه إلى من يحب ومن لا يحب ؟

وكانت الصفحة التالية هى الاهداء :

« إلى من أحب

« وإلى من لا أحب

« وإلى الفتيات والفتيان فى كل عصر

« إلى الملائكة لئلا تنقلب شياطين

« وإلى الشياطين عساها تهتدى . »

وهيهات !

ثم تتابع بعد ذلك صفحات الكتاب : بضعا وثلاثين ومائتى صفحة كلها حديث عن الحب !

هذا عناء لا يصبر عليه إلا عاشق : فيا رحمة الله لمؤلفه وقارئه !

ولكنه كتاب أحسبه حقيقا بأن يقرأه الآلاف ، وأن يصبروا على قراءته ، بل أن يجدوا فى قراءته متاعاً ولذة ، وإن لم أجدنى أنا صبرا على قراءته ، ولم أجد فيما قرأت من صفحاته إلا آلاما شجية ؛ أما الآلاف الذين سيقرءونه ويصبرون على قراءته ويجدون فيما يقرءون أنسا وارتياحا ولذة فهم العشاق الذين لا يزالون فى اللجة ولم تقذفهم أمواج الحياة بعد إلى الساحل ، وأما أنا . . . ولكنى أوثر ألا أتحدث عن نفسى فى هذا الباب وقد قذفتنى الأمواج على الشاطىء جسداً طريحا ليس فى يديه من ماضيه إلا ذكريات وآلام شجية وحوله من أشلاء أمانيه ثلاثة أطفال بلا أم !

ماذا أقول عن هذا الكتاب غير هذا الذى وصفت من آثاره فى نفسى ؟

لست أملك قولا بعد ، إلا أن أنصح كل مؤمن بالحب أن يقرأه ، فسيجد فيه نوعاً من التربية الوجدانية ترتفع به إلى آفاق الانسانية العالية ، من باب الملذات أو من باب الآلام !

الميثاق القومي العربي (منشورات مجلة عالم الغد — بغداد)

هـذا كتاب صغير ، على قدر راحة الكف ، لا يتجاوز بضع عشرة صفحة ، ولكن فيه — على صغره — صورة واضحة المعالم والسمات للنهضة العربية الحديثة ومايجيش في نفوس أهل العربية جميعاً على اختلاف مواطنهم المحلية ونوازعهم الفردية .

هو ميثاق اجتمعت لتحريره ، أو لترجمته من لغة النفس إلى لغة الحديث ، طائفة من شباب العراق أرادوا أن يجعلوه تعبيرا صريحاً عما يخالج نفس كل عربي من أماني تتصل بمعنى القومية العربية المشتركة ، وتصويراً للوعي القومي الذي تمخضت عنه الأحداث الأخيرة في بلاد العرب ، وإنهم ليأملون بنشره وإذاعته أن يتخذه كل عربي هدفاً وقبلة، وأن يتواثق على العمل لتحقيقه كل أبناء العروبة ، ولذلك سموه ميثاقا .

ولقد يقع في وهم بعض من لم يقرأ هذا الميثاق مكتفياً بالعنوان عما وراءه ، أنه برنامج محلي أو طائفي ، أو حزبي ، لجماعة يريدون أن يحملوا غيرهم على متابعتهم فيه ومشايعتهم على الايمان به والعمل له . وما هو كذلك فيما أرى ، ولعلي لا أعدو الحقيقة إن خرجت به عن مدلوله السياسي فسميته محاولة فنية موفقة لتصوير حقيقة ماثلة في نفس كل عربي فهو تعبير لا إنشاء ؛ فعمل واضعيه هو عمل الفنان لا عمل السياسي .

ويقول الناشر في مقدمته إن منشئيه قد سلخوا ستة أشهر في تحبيره — على صغره — وهو قول يؤيده ما في عبارة الميثاق من الدقة والصدق وروح الاتزان ، فكأنه في معانيه المحدودة الواضحة معاهدة سياسية قد صاغ حروفها أبرع المفاوضين وأوسعهم أفقاً ، وأكثرهم إدراكا لشتى الاحتمالات وما تقتضيه من أسباب التحفظ والاحتياط وتحديد الألفاظ لمدلولاتها ومعانيها .

وإنها لمناسبة طيبة أن ينشر هذا الميثاق في هذا الوقت الذي يتحدث فيه العالم كله عن العرب وما يتنورونه من أهداف يأملون أن يبلغوها في المستقبل القريب ، ليكون هذا الكتيب تعريفاً بالعرب في نهضتهم ، وفي هذا الوقت الذي تحاول فيه جامعة الدول العربية أن يكون لها عمل إيجابي تتحقق به أماني العرب في الحرية والاستقلال تحديد معنى القومية المشتركة ؛ لتعرف « الجامعة » في ضوء هذا الميثاق أي سبيل تسلك لتثبت وجودها الايجابي وتحقق الأمل المعقود بها ؛ وفي هذا الوقت الذي يخالج فيه نفس كل عربي شعور غامض بما عليه من تبعات وبما تفرض عليه عروبته من واجبات ينبغي أن يؤديها لأمته وإن لم يدرك ما هي على وجه اليقين والتحديد ؛ ليعرف كل عربي هدفه ويرى في مرآة هذا الميثاق صورة نفسه وحدود واجبه .

ويتألف هـذا الميثاق من خمس وعشرين مادة ، تبدأ المواد الأولى منها بتحديد معنى العرب والوطن العربي ، وتنتهي بالمادة الخامسة والعشرين وهي مادة « القسم » الذي يجب أن يقسمه كل عربي يؤمن بعروبته ؛ وفيما بين المادة الأولى والأخيرة يتحدث الميثاق في جلاء ووضوح وتحديد عن المقومات العربية والقومية العربية وخصائص الحركة القومية والنظام السياسي والتشريع ، والشئون الاقتصادية والمالية ، والأهداف الاجتماعية .

ألا ما أحق كل قطر عربي أن تتألف فيه شعبة تعمل على التماس الأسباب لتحقيق

هذا الميثاق ! بل ما أحرى أن يكون فى كل حاضرة وبلد وقرية شعبة من هذه الشعب تتعاون كلها على العمل له وتثبيت معناه والتدرج به من مرحلة الفكرة إلى مرحلة العقيدة ؛ فلسنا نشك أن معانى هذا الميثاق فكرة قائمة فى كل نفس ، وليس ينقصها لكى تخرج إلى عالم الحقيقة إلا أن تكون إيماناً فى كل قلب !

محمد سعيد العريان